[م] بسم الله الرحمن الرحيم

1 -باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية.

(ش) -بدأ المؤلف رحمه الله تعالى كتابه بالبسملة ... وهذه الطريقةُ درج عليها العلماء في التصنيف والتأليف تأسياً بكتاب الله تعالى فإنه مبدوءٌ بالبسملة، واقتداءً بنبينا صلى الله عليه وسلم فقد ابتدأ رسائله للملوك بالبسملة[1].
ومعناها .... تبركاً بذكر اسم الله تعالى واستعانةً به على ما شرع فيه أي (باسم الله الرحمن الرحيم أكتب) إذا أراد الكتابة و(باسم الله أقرأ) إذا أراد القراءة، وهكذا في جميع الأعمال يستحب ذكر الله تعالى قبل الشروع فيها.

-ثم بدأ المؤلف رحمه الله في ذكر أول أبواب كتابه بما يتعلق بالإخلاص لله تعالى واستحضار النية والتي هي آكد أعمال القلب وذلك لأمور....

1-رجاءاً من الله تعالى وتيمناً أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجه تعالى فيتقبله منه قبولاً طيباً ويضع له القبول في الأرض.
2-اقتداءاً ببعض من سبقوه من الأئمة الحفاظ كالإمام البخاري رحمه الله تعالى، فقد بدأ صحيحه بحديث (إنما الأعمال بالنيات) وجعله بديلاً عن المقدمة.
3-ما كان للنية من موقعٍ عظيمٍ في الدين فبها (تُميز العادات عن العبادات بل والعبادات بعضها من بعض، وهي الأصل الأول في قبول الأعمال، وعليها يدور الثواب والعقاب، وبشأنها تثبت صحة العمل وفساده) وغير ذلك مما سيتبين لنا من خلال دراسة هذا الباب.

-قال المؤلف رحمه الله تعالى: (باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية).

قول المؤلف (باب) البابُ في اللغة ما يُدخل منه إلى الشيء، واصطلاحاً: قسمٌ من العلم يشمل موضوعات من جنس واحد، يُقال قسَّم المؤلف كتابه إلى كُتبٍ وأبواب، والفرق بين الكتاب والباب أنّ الكتاب يجتمع فيه أبواب من أجناسٍ مُختلفة وبالمثال يتضح المقال، فمثلاً نقرأ لفقهائنا رحمهم الله أنهم يُصدرون كُتب الفقه بكتاب الطهارة ونجد في كتاب الطهارة أبواب (باب المياه، باب الآنية، باب الاستنجاء وقضاء الحاجة) أبوابٌ اختلفت أنواعُها ولكنها كلها تتعلق بعملية الطهارة، كما نقول مثلاً في كلمة (حَب) فيندرج تحتها كلُ الحبوب [كالقمح والشعير والذرة وغيرها] فكذلك الأمر.

أما (الباب) فلا يندرج تحته إلا ما هو من نوعه وجنسه فحينما نقول (باب الإخلاص) ففي هذا القسم سيجمع المؤلف ما تيسر له من الأدلة التي تتعلق بها أحكام خاصة بالإخلاص واستحضار النية.

-وقوله (الإخلاص) الإخلاص في اللغة: يقال عن الشيء خالص إذا صفي من الشوائب التي يمكن أن تشوبه، سمي: خالصاً كما قال الله عز وجل ممتناً على عباده باللبن الذي يخرج {مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ} [النحل:66] فهذا اللبن صافي غير مختلط بشيء من الدم والفرث، فيخرج هذا اللبن الصافي بقدرة الله عز وجل فسماه الله ووصفه بأنه خالص.

والإخلاص تعددت فيه أقوال أهل العلم في تعريفه الشرعي... [فمنهم من قال: الإخلاص عمل القلب، وهو أن يقصد بعمله الله وحده، ومنهم من قال: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين وإعجاب الفاعل بنفسه، ومنهم من قال: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، ومنهم من قال: الصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره، ومنهم من قال: ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله].
وتعدد وكثرة التعريفات يدل على عظم موقع الإخلاص في الدين، وسيتضح معنا أكثر موقع الإخلاص العظيم في الإسلام عند مدارسة الآيات والأحاديث في هذا الباب بإذن الله تعالى.

-وقوله (وإحضار النية) الإحضار هو الإتيان، يُقال: أحضر الشَّيءَ أو الشَّخصَ: أُتىَ به، ومنه قوله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا} والمعنى: [فوربك -أيها الرسول -لنجمعن هؤلاء المنكرين للبعث يوم القيامة مع الشياطين، ثم لنأتيَّن بهم أجمعين حول جهنم باركين على رُكَبهم لشدة ما هم فيه من الهول لا يقدرون على القيام] اهـ[2]، واستعمال المؤلف لكلمة إحضار يُشعرُ بالكلفة أي أنّ المُكلف مُطالب بالإتيان بالنية في جميع أقواله وأعماله وأحواله البارزة والخفية كما سنُبين.

---

[1] كرسالة النبي صلى الله عليه وسلم لهرقل ملك الروم التي أخرجها البخاري في صحيحه برقم (7).
[2] التفسير المُيسر [المجموعة علماء] سورة مريم آية (68).

-و(النيّةُ) في اللغة بمعنى: القصد والعزم، يُقال: نوى الشيء ينويه إذا قصَدهُ وعـزم عليه، وقيـل: النيـةُ هي الإرادة[3]، وفي الشرع معناها: النية عزم القلب على عمل فرض أو غـيره[4] [والنيَّةُ محلهـا القلب ولا محـل لهـا في اللسان في جميع الأعمال؛ ولهذا كان من نطق بالنية عنـد إرادة الصـلاة أو الصـوم أو الحج أو الوضـوء أو غير ذلك من الأعمال كان مبتدعاً قائلاً في دين الله ما ليس منه، لأن النبي صلي الله عليه وسلم كـان يتوضـأ ويصلي ويتصدق ويصوم ويحج ولم يكن ينطـق بالنيـة، فلم يكن يقـول: اللهم إني نـويت أن أتوضـأ، اللهم إني نويت أن أصلي، اللهم إني نويت أن أتصدق، اللهم إني نويت أن أحج، لم يكن يقول هذا وذلك لأن النية محلها القلب، والله عز وجل يعلم ما في القلب ولا يخفي عليه شـيء] اهـ[5] قـال تعـالى (قُـلْ أَتُعَلِّمُـونَ اللَّهَ بِـدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُـلِّ شَـيْءٍ عَلِيمٌ)، قـال الإمـام بن القيم رحمـه اللـه (وَلَمْ يَكُنْ يَقُولُ فِي أَوَّلِهِ(الوضوء): نَوَيْتُ رَفْعَ الْحَدَثِ وَلَا اسْتِبَاحَةَ الصَّلَاةِ، لَا هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْـحَابِهِ الْبَتَّةَ، وَلَمْ يُـرْوَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ حَرْفٌ وَاحِدٌ، لَا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَلَا ضَعِيفٍ).[6]

-قوله (في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية) العمل في اللغـة: المهنـة والفعـل والجمع أعمال، وفي (الكليات) العمل يعم أفعال الجوارح والقلوب، وقال آخرون: هو إحداثُ أمرٍ قولاً كان أو فعلاً بالجارحة أو القلب[7]، فعلى هذا التعريف يـدخل القـول في العمـل لأنّ القـول هـو عمـل جارحـة اللسـان، فاعتقاد أهل السُنة أنّ الإيمان (قولٌ وعملٌ) فقول القلب هو الاعتقاد، وعَمـل القلب هـو نِيّتـه وإخلاصـه. كمـا قال ابن أبي العزّ في (شرح الطحاوية)[8]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ). اهـ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى: الْقَوْلَ الْمُطْلَقَ وَالْعَمَلَ الْمُطْلَقَ فِي كَلامِ السَّلَفِ يَتَنَـاوَلُ قَـوْلَ الْقَلْبِ وَاللِّسَـانِ، وَعَمَلَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ، فَقَوْلُ اللِّسَانِ بِدُونِ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ هُوَ قَوْلُ الْمُنَافِقِينَ، وَهَذَا لا يُسَمَّى قَوْلا إلاَّ بِالتَّقْيِيـدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُـوبِهِمْ) وَكَـذَلِكَ عَمَـلُ الْجَـوَارِحِ بِـدُونِ أَعْمَـالِ الْقُلُـوبِ هِيَ مِنْ أَعْمَالِ الْمُنَافِقِينَ الَّتِي لا يَتَقَبَّلُهَا اللَّهُ ، فَقَوْلُ السَّلَفِ: يَتَضَمَّنُ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ الْبَاطِنَ وَالظَّاهِرَ. اهـ[9]

-و (الأحوال) جمع حال: وهي سائر الحالات الني تعتري الإنسان من (المحن أو النِّعم) كحاله في الصـحة والمرض، والفراغ والشغل، والعُسر واليسُر، والسفر والإقامة، والأمن والخوف... وغيرها من المقامات الـتي يخوض في غمارها الإنسان وتتقلبُ عليه بما يشاءُه اللهُ تعالى ويقضيه.

فالحاصل أنّ المؤلف أراد بهذه الترجمة بيـان وجـوب الإخلاص للـه تعـالى واستحضـار النيـة واللذان هما من عمل القلب، في جميع الأقوال والأعمال الظاهرة للناس أو الخفية التي لا يطلع عليها إلا الله تعالى في المـأمورات والمتروكـات أو في العـادات أو العبـادات بـل في جميع منازل عُمره وتقلبات حياته كما سيتضح معنا خلال مُدارسة هذا الباب.

---

[3] معجم مقاييس اللغة (5/366)، بدائع الصنائع (1/127)، جامع العلوم والحكم (ص: 15).
[4] المجموع (1/310).
[5] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (1/13).
[6] زاد المعاد في هدي خير العباد (1/189).
[7] معجم المصطلحات والتعريفات الفقهية (2/243)، كتاب (الكليات)معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفَوي ت (1049) هـ.
[8] شرح العقيدة الطحاوية ت الأرناؤوط (2/478).
[9] مجموع الفتاوى (3/151)، (7/505).